

سؤال القيم في المنهجية المعتمدة في "درس المؤلفات" بالجذع المشترك: رواية "المبائة" نموذجاً

د. الحسين بلا

الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين لجهة سوس ماسة
المغرب



ملخص:

تأتي هذه الورقة في سياق تهميش البعد القيمي لصالح البعد المعرفي، فعدم بروز هذا الجانب في الفصول الدراسية، في ظل التطور التكنولوجي وتخلي الأسرة عن وظيفتها التربوية، أمر يهدد المجتمع بالفساد والدمار. واكتساب القيم أمر مهم لصالح المجتمع وتخليصه من الأخلاق الفاسدة، والتربية على القيم خطوة مهمة لتحقيق هذه الغاية، ويبدأ هذا الاكتساب في مرحلة التعليم الابتدائي ويتعزز في الثانوي الإعدادي ليتوطد في مرحلة الثانوي التأهيلي. لهذا يهدف هذا المقال إلى مدّ جسر يربط التربية على القيم بتدريس مكون من مكونات مناهج اللغة العربية، وهو مكون المؤلفات السردية، وهي تربية تنتج بلا شك نحو السلوكيات، وتكون قنوات ذاتية إيجابية إزاءها، وهو بعد هُمس في منهجية تدريس المؤلفات لصالح البعد التحليلي التقني.

كلمات مفتاحية: التربية على القيم - المؤلف السردى - الجذع المشترك.

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

بلا، الحسين. (2024، أكتوبر). سؤال القيم في المنهجية المعتمدة في درس المؤلفات لمستوى الجذع المشترك (الآداب والعلوم الإنسانية) - رواية المبائة نموذجاً.. مجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفية، المجلد 1، العدد 7، السنة الأولى، ص 756-773.

Abstract:

This paper comes in the context of marginalizing the value dimension in favor of the cognitive dimension. The lack of prominence of this aspect in the classroom, in light of technological development and the family abandoning its educational function, threatens society with corruption and destruction. Acquiring values is important for the well-being of society and ridding it of corrupt morals, and education on values is an important step towards achieving this goal. This acquisition begins in the primary education stage and is strengthened in the preparatory secondary stage until it is consolidated in the rehabilitative secondary stage. Therefore, this article aims to extend a bridge linking education on values with teaching one of the components of the Arabic language curriculum, which is the component of narrative writings, which is an education that is undoubtedly directed towards behaviors and the formation of positive self-convictions regarding them, which is a marginal dimension in the methodology of teaching writings in favor of the technical analytical dimension.

Keywords : Education on values - narrative author - common trunk.

مقدمة

يتخذ هذا المقال من موضوع القيم التربوية وعلاقتها بتدريس مكون المؤلفات السردية موضوعاً له، وما يؤكد أهمية هذا الموضوع أن الأمر يتعلق بالعملية التعليمية التعلمية داخل الفصل الدراسي، والأنشطة المرتبطة بها، وقد اخترت للاشتغال رواية "المبأة" لمحمد عز الدين التازي، المقررة في التعليم الثانوي التأهيلي بالمغرب، وبالتحديد مستوى الجذع المشترك للأدب والعلوم الإنسانية، وقد أفرزت طبيعة المقال الذي اعتمد البحث والاستقصاء والتحليل، خطة تشمل خمسة عناوين رئيسية، يتضمن اثنين منها محاور فرعية، وقد حاولت في هذا البحث الإجابة عن جملة من الإشكالات، وتقديم عدة اقتراحات تخضع إدماج التربية على القيم في تدريس المؤلفات السردية، ومن أهم الإشكالات:

- أهمية القيم التربوية، ومدى انسجامها مع الواقع الخارجي للمتعلم وحاجياته ورغباته.
- سؤال حضور أو غياب القيم التربوية في تدريسية المؤلفات السردية.
- الإجراءات الديدكتيكية التي يمكن الأخذ بها في الحصص الدراسية للغة العربية، في المستوى والمكون الدرامي المحدد، وهو الجذع المشترك للأدب والعلوم الإنسانية، من أجل تجاوز الاختلالات الموجودة في جانب القيم المختلفة.

المحور الأول: مفهوم القيم وأنواعها وأهميتها

أولاً. مفهوم القيمة في اللغة والاصطلاح:

مفهوم القيم هو من المفاهيم التي انتقلت من مجال المال والاقتصاد إلى الفلسفة التي خصصت لها مبحثاً سمته بـ "الأكسيولوجيا"، وربطت فيه القيم بالخير والحق والجمال¹. والقيم في اللغة جمع قيمة، وهي من الجذر اللغوي "ق و م"، "وقام الشيء، واستقام: اعتدل واستوى"²، ويعني أيضاً انتصب، كما "ترتبط هذه القيمة حكماً وتقييماً بالأفعال البشرية والتصرفات الإنسانية بشكل ذاتي وموضوعي"³.

¹. جميل الحمداوي. مقال "منظومة القيم في مقررات التعليم الثانوي التأهيلي بالمغرب"، نشر في 23 مايو 2008، موقع ديوان العرب، الأربعاء 11 يونيو 2014.

². أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي "المحكّم والمحيط الأعظم"، دار الكتب العلمية. بيروت، الطبعة الأولى. 2000م، ج 6 / ص 590.

³. مقال "منظومة القيم في مقررات التعليم الثانوي التأهيلي بالمغرب".

وقد حضيت القيم باهتمام الباحثين، وقد عرف ميلتون روكنتش القيمة بأنها "عبارة عن اعتقاد يحضى بالدوام، ويعبر عن تفضيل شخصي أو اجتماعي لغاية من غايات الوجود الإنساني، وليس لنمط سلوكي أو غاية أخرى مختلفة"¹.

أما كلو كوهون فيعرفها بأنها "مفهوم مرغوب قد يكون معبرا عنه أو خفي يميز فردا أو مجموعة من الأفراد، ويؤثر على اختيار الوسائل والغايات انطلاقا من الأساليب الممكنة"².

ويعرف الدكتور خالد الصمدي القيم بأنها "معايير عقلية من حيث كونها مبنية على فكر واقتناع وليس على الإجبار والقهر، وهي وجدانية باعتبار المحل فتتغذى منه فيتحفز إليها الإنسان بوجوده، والقيم تمكن صاحبها من الاختيار الواعي لنشاط إنساني بإرادة حرة"³.

وبناء على ذلك، فالقيم تمثل السلوكيات المقبولة لدى الفرد، لذلك فهي قواعد للسلوك التربوي، وإطار مرجعي للسلوك الخارجي للفرد، ومساعد للإنسان على بناء حياته، وتكوين علاقاته، وتطوير مجتمعه.

ثانيا. أنواع القيم:

تصنف القيم بناء على اعتبارات وأسس مختلفة، فيمكن تصنيفها بحسب المضمون أو الهدف أو خصائصها من حيث الثبات والتغير، وسيقتصر الحديث على أهم هذه التصنيفات.

حيث صنف خالد الصمدي القيم إلى أربعة أصناف⁴:

- القيم الذاتية: وهي الاقتناعات الفردية للشخص التي تضبط علاقاته بخالقه وبنفسه، مثل قيمة: الإيمان والتقوى والخوف من الله والخشوع.

- القيم الاجتماعية: وهي القيم التي تطبع سلوك الفرد في علاقاته العامة، ولا يتصور وجودها إلا من خلال التفاعل مع الغير، ومن ذلك قيم الصبر، والكرم، والعفو، والرحمة، والصدق، والحب، والأمانة، وغيرها من القيم التي تنبغي أن تطبع السلوك الجمعي.

¹ محمد الدريج "التدريس الهادف، 1. مساهمة في التأسيس العلمي لنموذج التدريس بالأهداف التربوية"، من إصدارات كلية علوم التربية. جامعة محمد الخامس الرباط. 1991م، ص 153.

² محمد أوزي "المعجم الموسوعي لعلوم التربية"، مطبعة النجاح. الدار البيضاء، الطبعة الأولى. 2006م. ص 252.

³ خالد الصمدي "القيم الإسلامية في المنظومة التربوية دراسة للقيم الإسلامية وآليات تعزيزها"، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة. 2008م، ص 18.

⁴ نفسه، ص 38، 39.

- القيم الوطنية: وهي القيم التي تتسع دائرتها لتتجاوز العلاقات الاجتماعية إلى الإحساس بالقواسم المشتركة التي تجمع الجماعات المتباعدة، وتتجلى هذه القواسم المعنوية المشتركة في اللغة والدين والانتماء العرقي والرصيد التاريخي والانتماء الجغرافي، ومن ذلك قيم: حب الوطن. الافتخار بالمقومات الحضارية للأمة، والغيرة على اللغة والدين.

- القيم الإنسانية: هي القيم التي تتجاوز العلاقات الاجتماعية والخصوصيات الحضارية لشعب من الشعوب لتنتفتح على البعد الكوني، ويشترك فيها كل الناس بغض النظر عن انتماءاتهم العرقية والدينية والحضارية، كالعدل والمساواة والتسامح والسلام. وقد تقسم إلى فئات¹:

- القيم الخاصة: وهي تندرج ضمن الصفات الأساسية للفرد، كالصدق والفضيلة.

- القيم الاجتماعية: وهي ترتبط بحقوق الجماعات والمجتمع، كالمساواة، والحرية.

- القيم السياسية: وهي تتمحور حول القناعات بشأن أفضل طرق تدبير وتسيير البلاد، مثل الديمقراطية والمشاركة والمسؤولية المدنية.

- القيم الاقتصادية: وهي التي تدخل ضمن الجانب الاقتصادي، مثل حق الملكية والمنافسة.

- القيم الدينية والعقائدية: وهي تشمل جانبا روحيا يتمثل في الإيمان والعبادات.

ثالثا. أهمية القيم في التربية:

لا شك بأن التربية، ككل، تواجه اليوم في كثير من المجتمعات والشعوب تحديات خطيرة، أخطرها ما يرتبط بالعمولة، وما يرافقها من مشكلات اقتصادية وثقافية، واجتماعية، وفكرية.

أما التربية على القيم فتجد تفسيرها وأهميتها في السياقات التربوية، وفي الأدوار التي تضطلع عليها في المدرسة المغربية، وهي أدوار تتوسع وتغتنى بسبب التغييرات السياسية والاجتماعية في زمن يشهد انفجارا معرفيا هائلا، وكان نتيجة ذلك تقوي ظواهر و بروز أخرى، كتصاعد حدة العنف والتطرف والكراهية والتعصب، وارتفاع معدلات البطالة، وتردي القيم الأخلاقية وغير ذلك.

¹. عبد الكريم غريب "مستجدات التربية والتكوين"، منشورات عالم التربية، ص 391.

فالمدرسة ليست جزيرة نائية أو قرية معزولة عن محيطها، بل هي مؤسسة مؤثرة في المجتمع، ومتأثرة بما يجري حولها، لذلك أصبحت القيم ذات دور ضروري في الحفاظ على المجتمع وتماسكه، بحيث يندمج فيه الأفراد بشكل إيجابي، وتنتشر فيه قيم الفضيلة والعدل وغيرها، "وبالتالي فإن أي اختلال يصيب القيم ينعكس حتما على السلامة المأمولة للأفراد وللمجتمع بصفة عامة"¹.

وقد أكد على أن النظام التربوي بالمغرب يجب أن يتأصل في التراث الحضاري والثقافي بتنوع روافده، فيستهدف بما يحمله من قيم خلقية وثقافية ضمان إشعاع متواصل².

وهو نظام يستمد هذه القيم من مبادئ العقيدة الإسلامية، وحب الوطن، والتمسك بالملكية الدستورية، وقيم حقوق الإنسان ومبادئها الكونية العالمية³.

المحور الثاني: مكانة القيم في المرجعيات التربوية والإصلاحات بالمغرب

في مطلع الألفية الثالثة تبنت الدولة في ظل الظروف السابقة، بالإضافة إلى تردي الوضع التربوي التعليمي في بلادنا، نهجا تربويا حديثا كانت ثمرته الأولى التوافق بتوجهات ملكية سامية على ميثاق وطني منظم ومؤطر للتربية والتكوين، وقد احتلت فيه القيم مكانة خاصة، حيث يؤكد هذا الميثاق بشكل واضح على أن نظام التربية والتكوين للمملكة المغربية يهتدي "بمبادئ العقيدة الإسلامية وقيمها الرامية لتكوين المواطن المتصف بالاستقامة والصلاح، المتسم بالاعتدال والتسامح، الشغوف بطلب العلم والمعرفة...، والمطبوع بروح المبادرة الإيجابية والإنتاج النافع"⁴.

وبالرجوع إلى الميثاق الوطني للتربية والتكوين تتضح لنا الأهمية الكبرى والمكانة المهمة التي تشغلها التربية على القيم في التعليم، ولعل لتلك المكانة دورها في جعل التربية تحتل بداية القسم الأول في نص الميثاق، وهو القسم الذي يتضح من خلاله أن الميثاق يسعى إلى بناء تصور متكامل لغايات المنظومة التربوية، وذلك من خلال الاهتمام بمبادئ العقيدة الإسلامية والالتحام بالكيان العريق للمملكة "القائم على ثوابت ومقدسات يجعلها الإيمان بالله وحب الوطن والتمسك بالملكية

¹. عبد الكريم غريب "مستجدات التربية والتكوين"، مرجع سابق، ص 382.

². "الميثاق الوطني للتربية والتكوين" عن اللجنة الخاصة بالتربية والتكوين. وزارة التربية الوطنية، ص 9.

³. "الكتاب الأبيض" ج 1 (الاختيارات والتوجهات التربوية العامة المعتمدة في مراجعة المناهج التربوية) عن لجان مراجعة المناهج التربوية المغربية. وزارة التربية الوطنية، ص 11.

⁴. الميثاق الوطني للتربية والتكوين، ص 9.

الدستورية"¹، والتشبع "بالرغبة في المشاركة الإيجابية في الشأن العام والخاص، وهم واعون أتم الوعي بواجباتهم وحقوقهم، متمكنون من التواصل باللغة العربية، لغة البلاد الرسمية، تعبيراً وكتابة، منفتحون على اللغات الأكثر انتشاراً في العالم، متشبعون بروح الحوار، وقبول الاختلاف، وتبني الممارسة الديمقراطية في ظل دولة الحق والقانون."²

ولقد نادى الميثاق بجعل التربية على القيم الديمقراطية والمواطنة الفاعلة، وفضائل السلوك المدني، خياراً استراتيجياً لا محيد عنه³.

وبناء على ما سبق فقد حدد الميثاق الوطني للتربية والتكوين أربع ركائز للقيم هي :

- قيم العقيدة الإسلامية.

- قيم الهوية الحضارية.

- قيم المواطنة.

- قيم حقوق الإنسان.

وبعد سنتين تقريبا أكد الكتاب الأبيض، وخاصة في جزئه الأول عل أهمية تلك القيم على اعتبار أن نظام التربية والتكوين يخضع " للحاجات المتجددة للمجتمع المغربي على المستوى الاقتصادي والاجتماعي والثقافي من جهة، وللحاجات الشخصية الدينية والروحية للمتعلمين من جهة أخرى "⁴.

ويشكل الكتاب الأبيض تكملة وتوسعة لما ورد في الميثاق الوطني من الكفايات والقيم المستهدفة والتوجهات العامة لمنظومة التربية والتكوين الجديدة، وقد اعتمد فيه على ثلاثة مداخل تستهدف مراجعة مناهج التربية والتكوين، وتفعيل مجموعة من الاختيارات والأهداف والمرامي، وهذه المداخل هي⁵:

- التربية على القيم.

¹. الميثاق الوطني للتربية والتكوين، ص 7.

². نفسه، وعينها.

³. "رؤية استراتيجية للإصلاح 2015. 2030" عن المجلس الأعلى للتربية والتكوين، ص 55.

⁴. "الكتاب الأبيض" ج 1. ص 11.

⁵. نفسه وعينه، ص 11.

- تطوير الكفايات التربوية.

- التربية على الاختيار.

وانطلاقاً من القيم التي وردت في الميثاق الوطني، ذكر الكتابُ الأبيض الغايات العامة المتوخاة، إضافة إلى الأهداف والحاجيات الخاصة المرتبطة بالمتعلمين¹، أهمها²:

- ترسيخ الهوية المغربية الحضارية.

- تكريس حب الوطن، وتعزيز الرغبة في خدمته.

- التشبع بروح الحوار، والتسامح، وقبول الاختلاف.

ونجد لهذه القيم والمقاييس الاجتماعية حضوراً ضمن مواصفات التلاميذ في كل الأسلاك والأقطاب التعليمية³، فمن المواصفات المرتبطة بالقيم والمقاييس الاجتماعية في نهاية التعليم الابتدائي، مثلاً، نجد جعل المتعلم:

- متشبثاً بالقيم الدينية والخلقية والوطنية والإنسانية.

- متشبعاً بروح التضامن والتسامح والتزاهة⁴.

والملاحظ بأننا نجد تحديداً دقيقاً وتفصيلاً للقيم والمواصفات الاجتماعية المتوخاة في المتعلمين إلى غاية نهاية السلك الثانوي، والشأن نفسه نجده في "التوجهات التربوية والبرامج الخاصة بتدريس اللغة العربية بسلك التعليم الثانوي التأهيلي"⁵، حيث نجد بأنه لم يبدل الجهد لتنزيل القيم والأهداف الوجدانية بشكل يجعلها قابلة للملاحظة والمراقبة والضبط، فقد صيغت هذه الأهداف بشكل عام ومجرد.

وفي إطار تفعيل الميثاق الوطني للتربية والتكوين، والهوض بالمنظومة التربوية في بلادنا أصدرت وزارة التربية الوطنية مذكرات تنظيمية، سعت إلى تقوية وتطوير مختلف المداخل

¹ نفسه وعينه، ص 11. 12.

² نفسه وعينه، ص 12.

³ نفسه وعينه، ص 21. 25. 29.

⁴ نفسه وعينه، ص 21.

⁵ "التوجهات التربوية والبرامج الخاصة بتدريس مادة اللغة العربية بسلك الثانوي التأهيلي" عن مديرية المناهج. وزارة التربية الوطنية،

2007 نونبر. الرباط، ص 5.

والاختيارات، ومنها مدخل التربية على القيم، وهذه بعض المذكرات التي تصب في هذا الجانب القيمي:

- المذكرة الوزارية رقم 117 الصادرة بتاريخ 25 أكتوبر 2002م، وذلك في موضوع "تعميم منهاج التربية على حقوق الإنسان"، وتؤكد على أن كفاية حقوق الإنسان هي من ضمن الكفايات الأساسية الهامة التي ينبغي تحقيقها في الدروس.

- المذكرة الوزارية رقم 87 الصادرة بتاريخ 20 يوليوز 2004م، والتي تدعو إلى تفعيل أدار الحياة المدرسية من خلال توجيهات أولها تثبيت القيم الأساسية لدى التلميذ.

- المذكرة رقم 88 المتعلقة بإرساء هياكل مرصد القيم، وهي مذكرة موجهة إلى مديري الأكاديميات الجهوية للتربية والتكوين، من أجل إدماج المبادئ والقيم في المناهج التربوية والتكوينية.

ولقد نصت الرؤية الاستراتيجية 2015.2030، في الرافعة الثامنة عشر على ضرورة "ترسيخ مجتمع المواطنة والديمقراطية والمساواة" على مدخل القيم، وقد سجل بأنه رغم الاهتمام الذي أولته المدرسة المغربية للقيم وحقوق الإنسان والمواطنة، استمرت السلوكات السلبية في الانتشار، كالغش والعنف والإضرار بالبيئة، وبالمك العام داخل المؤسسات التعليمية ومحيطها¹.

المحور الثالث: أهمية القيم في منهاج اللغة العربية للجدع المشترك للآداب والعلوم الإنسانية

يقول صاحب الجلالة:

"إن غايتنا تكوين مواطن صالح، قادر على اكتساب المعارف والمهارات مشبع في نفس الوقت بهويته التي تجعله فخورا بانتمائه، مدركا لحقوقه وواجباته، عارفا بالشأن المحلي والتزاماته الوطنية..."²

¹. "رؤية استراتيجية للإصلاح 2015.2030"، ص 55.

². الميثاق الوطني للتربية والتكوين، مقتطفات من الخطاب السامي في بداية الميثاق.

وتعتبر مكونات منهاج اللغة العربية مجالاً خصباً لتفعيل وتعزيز الاختيارات والتوجهات التربوية المرتبطة بالقيم، من خلال استدماجها وترسيخها في نفوس المتعلمين فكراً ومعرفة وممارسة عبر نصوص ووضوعات حقيقية أو مستمدة من واقع الحياة اليومية للمتعلمين¹.

وإذا كان المنهاج الدراسي للغة العربية، ركز على مبدأ أساسي وهو تنزيل وترجمة المرامي والأهداف الكبرى والعامّة إلى سلوكيات قابلة للملاحظة، ومن ضمن هذه الأهداف نجد أهدافاً ذات طبيعة قيمية سلوكية، مثل²:

- تعزيز قيم الثقة بالنفس، وقيم التففتح واحترام الآخر.

- تعزيز قيم الانتماء الوطني، مع الانفتاح على القيم الإنسانية الإيجابية (الحرية . الديمقراطية. حقوق الإنسان).

- تعزيز المواقف والميول الإيجابية.

فإنه على المستوى الديدكتيكي يتم تهميش هذا الجانب لصالح المجال المعرفي والعقلي، بمعنى أن طرق التدريس تولي أهمية قصوى للجانب المعرفي أكثر من الجانب القيمي، وتهدف تزويد التلاميذ بالمنهجيات والمنظورات القرائية أكثر من الاعتناء بتكوين المواقف والاتجاهات، وهذا يتناقض مع الأهداف التربوية والتعليمية لبلادنا، والتي أكد صاحب الجلالة في خطابه السامي، وهو الخطاب الذي يمكن اعتباره انطلاقة لبداية الإصلاحات التربوية الجادة في بلادنا في الألفية الثالثة.

حيث نجد في منهاج اللغة العربية بالثانوي التأهيلي، حديثاً عن كفايات تمثل قيماً³، وتهدف إلى تعزيز قيم الحرية والمساواة وحقوق الطفل وحقوق المرأة والتفتح والحوار والتسامح لدى المتعلم عن طريق استثمار الحملات التي تزخر بها النصوص القرائية المختارة.

إضافة إلى تعميق تجربة التلميذ بالاستفادة من التجارب الإنسانية المتنوعة التي تتضمنها النصوص الحكائية أو الحجاجية أو الشعرية العمودية والحديثة، وتقوية روح الانفتاح، وتعزيز القدرة على المبادرة الذاتية والجرأة على اتخاذ القرار والموقف.

¹. عبد الرحمان التومي "الجامع في ديدكتيك اللغة العربية مفاهيم، منهجيات ومقاربات بيداغوجية"، مطبعة المعارف الجديدة.

الرباط، الطبعة الثانية. 2016، ص 76.

². "التوجهات التربوية والبرامج الخاصة بتدريس مادة اللغة العربية بسلك الثانوي التأهيلي"، ص 15.

³. كتاب "النجاح في اللغة العربية. الجذع المشترك للتعليم الأصلي وجذع الآداب والعلوم الإنسانية" مطبعة النجاح الجديدة. الدار

البيضاء. طبعة 2017، ص 131.91.55.5.

ويمكن تقسيم هذه القيم إلى: قيم عالمية خاصة، مثل الحرية والمساواة، وحقوق عامة مثل حقوق المرأة والطفل، و مهارات حياتية، مثل التفتح والحوار .

المحور الرابع: حضور القيم في تدريس المؤلفات في مستوى الجذع المشترك الأدبي من خلال رواية "المبأة"

أولا. سؤال القيم ضمن منهجية تدريس المؤلفات في التوجيهات الرسمية

ترتكز منهجية تدريس المؤلف السردية في الثانوي التأهيلي، ومنه مستوى الجذع المشترك للآداب والعلوم الإنسانية، على الشمولية في القراءة، والبعد الاستقصائي في الدراسة، وهي لذلك تغلب الجانب المنهجي المرتبط بالخطوات المنهجية وما تنتجه من معارف، وتقصي الأبعاد القيمية المختلفة.

ولعل ما جعل هذا الدرس يحضر في المنهاج الدراسي ارتباطه وأهميته في حياة المتعلمين، حيث يمكنهم من الوعي بالعالم، وبالذواغ المحركة للتاريخ والبشرية من خلال تعرفهم على نماذج إنسانية مختلفة، وبذلك فهو يحمل المتعلم على الاستقلال بشخصيته، ومن أدواره التربوية أيضا إغناء وإثراء معجمه اللغوي، وزيادة تبصره بطرق التعبير والإبداع والإنتاج عن الذات والمحيط¹.
ويقوم تدريس المؤلفات السردية في التوجيهات الرسمية على أدوار بيداغوجية وأسس ديداكتيكية، ذلك لأن تدريسها يسعى "إلى تمكين المتعلمين من قراءة المؤلفات الكاملة، واكتساب الآليات المنهجية للقراءة الذاتية التي تتجاوز الانطباعات العامة، لتبلغ مستوى القراءة النقدية المسئلة"²، و "تنمية الكفاية القرائية وتنمية المكتسبات المهارية القبلية وتعزيزها"³.

وأما عن منهجية تدريس هذا المكون فتنبني على مقترحات فيالا وشميت في كتابهما القيم "Savoir lire" (معرفة القراءة) 4، وتقوم على مراحل:

المرحلة التوجيهية: ويتم فيها تقديم المؤلف بالوقوف عند نوعه الأدبي، والتعريف بصاحبه مع الاقتصار على ما له علاقة وظيفية بالمؤلف، و دواعي كتابته.

¹ مجموعة من الأساتذة "القراءة المنهجية للمؤلفات الروائية بالتعليم الثانوي التأهيلي. الجذع المشترك"، الطبعة الأولى. 2006م، ص 4.3

² "التوجيهات التربوية والبرامج الخاصة بتدريس مادة اللغة العربية بسلك الثانوي التأهيلي"، ص 20.

³ نفسه، ص 34.

⁴ عبد الرحيم كلموني "مدخل إلى القراءة المنهجية للنصوص من أجل كفايات قرائية بالتعليم الثانوي"، منشورات صدى التضامن. طبعة 2006م، ص 107 . 108.

المرحلة التحليلية: وتقوم على الاشتغال بالمنظورات الستة: تتبع الحدث. القوى الفاعلة. البعد النفسي. البعد الاجتماعي والتاريخي. الأسلوب. البنية.

المرحلة التركيبية: وترتكز على توظيف مهارتي التركيب والتقويم، أي النظر إلى مكونات العمل السردي ككل وقيمه الأدبية، وإصدار الحكم النقدي العام عليه.

والملاحظ أن هذه الخطوات والمراحل تغلب الجانب التقني التحليلي، ولا يحضر فيها المتعلم إلا كمحلل متفاعل، في حين يغيب الجانب الانفعالي التأسري الذي يشكل نفسية المتعلم، وقناعاته التي، من المتوقع، أن يخرج بها إلى العالم الخارجي.

وقد أشار تزفيطان طودوروف إلى طغيان هذا الجانب التقني على الجانب القيمي المرتبط بفهم الإنسان والعالم في التعليم الثانوي¹ لأن هذا الأخير مطالب بتدريس الأدب، وليس الدراسات الأدبية²، ورغم أن الناقد يتحدث عن التعليم الفرنسي إلا أن هناك ارتباط بين كلامه والمنهاج الخاص بتدريس النص الأدبي، الطويل والقصير، في المدرسة المغربية، لأن التعليم المغربي استفاد في القراءة المنهجية للنصوص من المنهاج الفرنسي³.

صحيح أن المتعلم يحقق في هذه القراءة ذاتيته، من خلال إظهار قدرات وسلوكيات مثل التعبير عن الرأي، والقدرة على المبادرة الذاتية، والانفتاح على التجارب الإنسانية المتنوعة، وهي كلها قيم مهمة، ولكن ذلك يبقى غير كاف، وضعيفا جدا مقارنة مع ما يهدف إليه النظام التعليمي، في جانب القيم المختلفة، وما تنص عليه التوجيهات الرسمية، وما يحتاج إليه المتعلم في واقعه.

ثانيا. رواية المباءة:

رواية "المباءة" من أعمال الكاتب المغربي محمد عز الدين التازي، وهو كاتب وروائي مغربي، من مواليد سنة 1948م، وتركز هذه الرواية على شخصية قاسم الورداني الذي عمل مديرا لسجن عين قدوس بفاس قبل جنونه، وقاسم معيل أسرة تتكون من زوجته رقية، وابنته منيرة، وولده

¹ تزفيطان طودوروف "الأدب في خطر"، ترجمة عبد الكبير الشرقاوي، دار توبقال للنشر. الدار البيضاء، الطبعة الأولى. 2007م، ص 15.

² نفسه، ص 20.

³ "مدخل إلى القراءة المنهجية للنصوص من أجل كفايات قرآنية بالتعليم الثانوي"، ص 11. 12.

منير، وقد كره هذا الأخير وظيفة والده، وطالبه بالاستقالة، كما كره سكنه في السجن، وتعرض بسبب انتماءاته الفكرية والدينية للتعذيب والاختطاف، ليعود إلى البيت شبح إنسان مشلول، أما قاسم فيذهب إلى الرباط ليحضر اجتماعا، قبل أن تصيبه نوبة جنونية، هأمَ بسببها عاريا في شوارع الرباط، وهو يحمل بين ضلوعه هموم أسرته.

ويدخل بعد ذلك إلى ضريح بالمدينة، حيث زاوية سيدي علي بوغالب، لينضم إلى عالم الموتى، ينقش شواهد الموتى والراحلين إلى عالم الفناء، وتمضي أحداث الرواية تصور لنا عالم قاسم الورداني الجديد، ويجتاح الوباء فاس، فيخرج قاسم ليتجول في شوارعها وأحيائها، وفي الأخير يلتقي بابنته منيرة وزوجته رقية، وبهذا اللقاء تنتهي أحداث الرواية.

ثالثا. مقترحات ديداكتيكية لإدماج الأبعاد القيمية في تدريسية المؤلفات السردية:

يشكل الحكيم مادة أساسية في حياة الإنسان والمجتمعات، فهو جزء لا يتجزأ من الثقافات المختلفة، وقد وظفت هذه التقنية في أشكال نثرية قصيرة أو طويلة تحكي أحداثا، وتقوم على تقنيات وعناصر، مثل: الشخصيات، والزمان والمكان.

وهذه الأشكال إما أن تتخذ شكل حكي قائم على السرد كالقصص والروايات وغيرها، أو شكلا قائما على العرض، ويتمثل أساسا في المسرحية، وهي ما يطلق بالمؤلفات السردية، ومن هذه المؤلفات رواية المباءة لعز الدين التازي التي تضمنها برنامج اللغة العربية لمستوى الجذع المشترك للآداب والعلوم الإنسانية.

وإذا كانت الرواية عموما تسعى لأن تمثل الحقيقة، وتعكس مواقف الإنسان من الظواهر والوقائع، وتجسد ما في العالم¹، فإن الحاجة إلى معالجة موضوع القيم، حاجة أساسية خاصة إذا تعلق الأمر بتدخل عنصر ثالث وهو المتعلم (التلميذ)، الذي يمثل محور العملية التعليمية التعلمية، وما يتحكم فيه من قناعات وظروف واحتياجات.

ويمكننا القول في البداية أن تدخل آلية التوجيه القيمي سيكون بارزا في مرحلة القراءة التحليلية، وخاصة في المحاور المتعلقة بالأحداث والبعدين النفسي والاجتماعي والتاريخي، ففي هذه المحاور تظهر السلوكيات والمواقف التي يجب أن تدفع المدرس إلى مناقشتها مع المتعلمين من أجل بناء شخصية سوية إيجابية.

¹. عبد المالك مرتاض " في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد"، مجلة عالم المعرفة، ديسمبر 1998، ص 12.

فرواية "المبأة" تبرز مواقف وأحداثا متخيلة لا بأس بتنوعها وعددها، تحتاج إلى هذا التدخل التوجيهي القيمي، أبرزها¹:

- الإيمان بالكرامة، وزيارة الولي في الليل، وتقديم البركة (ص 49. 50).
- استغلال النساء والضعفاء في الأضرحة (ص 50. 51).
- إقامة حفل الختان في الأضرحة، طلبا للبركة، وطمعا في مساعدة الشرفاء والمحسنين (ص 65. 66. 67).
- اختفاء القطط في يوم عيد الأضحى هروبا من منظر الدم (ص 66).
- الإيمان بخروج السيد الولي من القبر ليبارك الأطفال، وجلود بكارتهن (ص 68).
- مقاومة الأب قاسم للمستعمر الأجنبي (ص 77).
- تدخين منير (82).
- مباغته منير لوالده بسكين (ص 96).
- انتماء منير إلى اليساريين، ثم بعد ذلك إلى الإخوان (ص 98).
- خرج الجنية "عيشة قنديشة" في حلم قاسم (ص 103. 104).
- ذبح الأضاحي في القبور (ص 136).

وقبل تقديم بعض المقترحات المتعلقة بإدماج البعد القيمي في دراسة المؤلفات، نلاحظ أن الرواية تعكس واقعا خارجيا موجودا بقيمه واتجاهاته الصالحة والطيحة، أي أنه تمثيل لواقع كائن، لذلك لا بد من التذكير بما جاء في التوجيهات التربوية وبرامج اللغة العربية الخاصة بالجدع المشترك للآداب والعلوم الإنسانية من أن الخطوات المقترحة في تدريس المؤلفات " لا تلغي اجتهادات الأساتذة ومقترحاتهم لتطوير درس المؤلفات"².

ومن هذا المنطلق وبغية تطوير هذا الدرس لكي يتوافق مع المرجعيات التربوية، والأهداف والكفايات المتوخاة، ينبغي الاهتمام لجانب ميول المتعلمين وآرائهم، من خلال ما يلي:

¹. محمد عز الدين التازي "المبأة"، مكتبة الأمة للنشر والتوزيع. الدار البيضاء، طبعة 2012.

². "التوجيهات التربوية والبرامج الخاصة بتدريس مادة اللغة العربية بسلك الثانوي التأهيلي"، ص 19.

- أنشطة مرتبطة بالقيم مندمجة أثناء الحصص الدراسية، أو في نهايتها كتركيب أو كخلاصة للحصّة.

ومن الأنشطة المقترحة:

- استخراج السلوكات السلبية وطرح البدائل .

- طلب اختيار القبول بالموقف أو رفضه .

- تحليل الموقف، وطلب المواقف الخاصة بالمتعلمين .التنشيط والتفاعل مع المواقف....

- مناقشة الظواهر أو الأحداث التي يمكنه إبداء الرأي فيها من أجل تفادي السلوكات السلبية، مثل ذبح الأضاحي عند الأضرحة، والإيمان بخروج الولي صاحب الضريح.

- إعادة صياغة مراحل الحصّة الدراسية، ويمكن تقسيمها إلى: التقييم التشخيصي أو التقديم . التحليل . التركيب . التقييم والتربية على القيم.

- بناء صنافة للقيم خاصة بكل مؤلف سردي تمثل الأهداف والقيم المطلوب إكسابها وتعزيزها، وفي حالة المباءة تبرز قيم: الإيمان بالله . حب الوطن . الاعتدال . التسامح . إعمال العقل والتفكير النقدي .

- إعادة النظر في طريقة صياغة الاختبارات والتقويمات، لأن التقييم عملية متكاملة ومتنوعة وهادفة، وشاملة تمتد إلى جميع الأهداف المنشودة¹، ومنها الأهداف المرتبطة بالقيم، من خلال تنوع مجالات الأنشطة الاختبارية أو التقويمية، من مجال معرفي ومنهجي وقيمي وجداني وغيرها.

فإذا كانت منهجية اختبار درس المؤلفات (السردية) تهدف حسب الأطر المرجعية المتعلقة باختبارات الامتحان الوطني الموحد للبكالوريا إلى قدرات، وهي²:

¹ .محمود داود الربيعي " المناهج التربوية المعاصرة"، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى. 2016م، ص 257. 258.

² " الأطر المرجعية لاختبارات الامتحان الوطني الموحد للبكالوريا. 2022. الإطار المرجعي لمادة اللغة العربية وأدابها شعبة الآداب والعلوم الإنسانية" المركز الوطني للتقويم والامتحانات. 2022، ص 8.

- وضع المؤلف في سياقه العام.
 - تحديد موقع المقطع ضمن مسار الأحداث.
 - تحليل المطلوب.
 - تركيب المعطيات لإبراز قيمة المؤلف، وإبداء الرأي الشخصي وتعليقه.
- فإننا في حالة الجذع المشترك، يمكن تكييف هذه المنهجية مع هذا المستوى، من خلال الاستئناس ببعض القدرات مثل تحديد موقع المقطع ضمن الأحداث السردية، وتحليل المطلوب، مع سؤال مرتبط بتعزيز القيم، من خلال إبداء الرأي الشخصي في فعل شخصية من شخصيات المؤلف، أو ظاهرة من ظواهره، وتعليل هذا الرأي، مع ضرورة ضبط الحدود الكيفية والكمية لهذا الرأي، لكي لا تكون الإجابة نمطية، أو غير معززة للقيم الإيجابية.
- تكليف مجموعة معينة من المتعلمين، بعروض وأعمال تركز على الجانب القيمي من خلال إبداء الرأي في أفعال شخصيات المؤلف السردية ومواقفهم، والظواهر البارزة فيه، بالاستحسان أو الاستهجان، مع تعليل آرائهم بأدلة مقنعة متنوعة: منطقية - واقعية - دينية - استشهادات - إحصائيات، وغيرها، وتكييف هذه العروض مع الجدول الزمني للوحدة، ومراحل الدرس، وفق جاذبة مدمجة للبعد القيمي.
 - ويمكن أن يتم الأمر باختيار المعنيين بهذه العروض بشكل محدد ومدرّس، بناءً على تشخيصات قيمية يقوم بها المدرّس للمتعلمين، أو من خلال ملاحظاته لسلوكياتهم أثناء الممارسات الصفية المتنوعة، أو ما تظهره النتائج السلوكية للمتعلمين خارج الفصل الدراسي، بالتعاون مع الإدارة التربوية، أو مع مدرسي الأقسام المعنية.

خاتمة

ختاماً يمكن الخلوص إلى:

- أن إدماج البعد القيمي في دراسة المؤلفات السردية، تم تهميشه لصالح البعد التحليلي الداخلي، وهو أمر يتناقض مع التوجهات التربوية الخاصة بتدريس مكونات اللغة العربية، والتي تنص على وجوب تنوع الأهداف والكفايات المستهدفة، ومنها تعزيز الميولات الإيجابية، وترسيخ القيم الدينية، والوطنية، والحضارية، وغيرها.

■ هذا الخلل يهدد تكاملية العملية التعليمية، وقد تم تقديم مجموعة من الاقتراحات الديدانكيتيكية لتجاوز هذا التهميش، وفي الوقت نفسه تمكين المدرّس من تدخل ناجع وناجح من أجل تحسين سلوكات المتعلمين، الذي يشكل جزءاً من العملية التربوية المتكاملة في أهدافها ومراحلها، ومنها: إعادة النظر في مراحل درس المؤلفات السردية بغية استدماج التربية على القيم، وإدراج أنشطة ملائمة لذلك من مناقشات واستطرادات وعروض متنوعة ومقصودة، إضافة إلى تحديد القيم المستهدفة في كل مؤلف سردي.

لائحة المصادر والمراجع

- أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي "المحكم والمحيط الأعظم"، دار الكتب العلمية. بيروت، الطبعة الأولى. 2000م،
- تزفيطان طودوروف "الأدب في خطر"، ترجمة عبد الكبير الشرقاوي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، الطبعة الأولى. 2007م.
- جميل الحمداوي، مقال "منظومة القيم في مقررات التعليم الثانوي التأهيلي بالمغرب"، نشر في 23 مايو 2008، موقع ديوان العرب، الأربعاء 11 يونيو 2014.
- خالد الصمدي، "القيم الإسلامية في المنظومة التربوية دراسة للقيم الإسلامية وآليات تعزيزها" منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة. 2008م.
- عبد الرحمان التومي "الجامع في ديداكتيك اللغة العربية مفاهيم، منهجيات ومقاربات بيداغوجية"، مطبعة المعارف الجديدة. الرباط، الطبعة الثانية. 2016.
- عبد الرحيم كلموني "مدخل إلى القراءة المنهجية للنصوص من أجل كفايات قرائية بالتعليم الثانوي"، منشورات صدى التضامن. طبعة 2006م.
- عبد الكريم غريب "مستجدات التربية والتكوين"، منشورات عالم التربية.
- عبد المالك مرتاض "في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد"، مجلة عالم المعرفة، ديسمبر 1998م.
- لجان مراجعة المناهج التربوية المغربية. وزارة التربية الوطنية "الكتاب الأبيض"، ج 1 (الاختيارات والتوجيهات التربوية العامة المعتمدة في مراجعة المناهج التربوية).
- اللجنة الخاصة بالتربية والتكوين. وزارة التربية الوطنية: "الميثاق الوطني للتربية والتكوين".
- مجموعة من الأساتذة "القراءة المنهجية للمؤلفات الروائية بالتعليم الثانوي التأهيلي". الجذع المشترك"، الطبعة الأولى. 2006م.

- محمد أوزي "المعجم الموسوعي لعلوم التربية"، مطبعة النجاح. الدار البيضاء، الطبعة الأولى. 2006م.
- محمد الدريج "التدريس الهادف، 1. مساهمة في التأسيس العلمي لنموذج التدريس بالأهداف التربوية"، من إصدارات كلية علوم التربية. جامعة محمد الخامس الرباط. 1991م.
- محمد عز الدين التازي "المبأة"، مكتبة الأمة للنشر والتوزيع. الدار البيضاء، طبعة 2012م.
- المجلس الأعلى للتربية والتكوين "رؤية استراتيجية للإصلاح 2015. 2030".
- محمود داود الربيعي "المناهج التربوية المعاصرة"، دار صفاء للنشر والتوزيع. عمان، الطبعة الأولى. 2016م.
- مديرية المناهج. وزارة التربية الوطنية: "التوجهات التربوية والبرامج الخاصة بتدريس مادة اللغة العربية بسلك الثانوي التأهيلي" 2007 نونبر / الرباط.
- "الأطر المرجعية لاختبارات الامتحان الوطني الموحد للبكالوريا. 2022 الإطار المرجعي لمادة اللغة العربية وأدائها شعبة الآداب والعلوم الإنسانية" المركز الوطني للتقويم والامتحانات. 2022م.
- كتاب " النجاح في اللغة العربية . الجذع المشترك للتعليم الأصيل وجذع الآداب والعلوم الإنسانية" مطبعة النجاح الجديدة. الدار البيضاء. طبعة 2017.